مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث - العدد التاسع - يناير 2016م

# اللّه في فلسفة القديس ألبرت الكبير

**د. نادية عبد الغني البرماوي***

## المقدمة:

إن من أعظم الحقائق وأجلها في الفطرة حقيقة وجود الله؛ تلك الحقيقة التي اتفقت العقول على الاعتراف بها وإن أنكرتها بعض الألسن؛ فهي من الوضوح في مكان لا تنال منه الشبهات، وبمنزله لا يرتقى إليها الشك. ويمكن القول بأنه لا يوجد في حياة الإنسان ما هو أهم ولا أسمى من هذه الحقيقة؛ فهي مناط السعادة في الحياة الدنيا وفى الآخرة .وهى من أسمى الأفكار التي وصل إليها الإنسان، وهدته إليه فطرته وبيئته ومجتمعه، وأيضًا نظرة وتأمله، وما نزل إليه أيضًا من وحى على طائفة الأنبياء. وإذا كان الإيمان بالله بهذه الدرجة من الأهمية فلا غرابة– إذن– فى أن يكون البحث عنه على درجة كبيرة أيضًا من الأهمية لكى يصل الإنسان إلى درجة اليقين والقناعة التامة فى صحة معتقده وصدق إيمانه، وقد حاول الإنسان عبر العصور أن يكون لنفسه موقفًا بإزاء هذا الموضوع، فأخذ يتناوله ويعالج التساؤلات الناجمة عنه بفطرته، ثم أخذ يتعمق فيها بعقله؛ فأصبحت موضع بحث متصل من رجل الدين والأخلاق من ناحية إلى الفيلسوف والعالم من ناحية أخرى.

ومن هنا ومن منطلق هذه المقدمة التي أحسبها لازمة قبل الإشارة إلى موضوع هذا البحث أقدمت على دراسة فكرة الله عند القديس ألبرت الكبير (1200/1280م) تقريبًا؛ والذي يعد واحدًا ممن خاضوا بالبحث والدراسة العميقة في هذه الفكرة ، وتناولوها بشيء كبير من التفصيل.

---

* أستاذ فلسفة العصور الوسطى المساعد– كلية الآداب– جامعة المنوفية.

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع تحديدًا عند القديس ألبرت الكبير نظرًا لكونه يرتبط بالعديد من الآراء والأفكار التي خاض فيها بالبحث والدراسة كفكرة نشأة الكون وخلق الكائنات، هذا بالإضافة إلى شرف دراسة هذه الفكرة والبحث فيها،أضيف إلى ذلك أن شخصية القديس ألبرت الكبير تعد جديدة إلى حد كبير على المكتبة العربية؛ إذ لم يتناولها بالدراسة عدد كبير من الباحثين والدارسين.

أما فرضيات هذه الدراسة فيمكن صياغتها على النحو التالي:

1. ما تصور القديس ألبرت الكبير لماهية الله؟
2. ما هي الأدلة التي قدمها القديس ألبرت الكبير لإثبات وجود الله؟ وما هي صفاته؟
3. ما موقف القديس ألبرت الكبير من فكرة العناية الإلهية؟ وما مدى إيمانه وقناعته العقلية بها؟ وإلى أي مدى ارتبطت هذه الفكرة بأبعاد صوفية عنده؟
4. كيف نشأ العالم عن الله عند القديس ألبرت الكبير؟ وكيف صدرت الموجودات عنه؟
5. إلى أي مدى تأثر القديس ألبرت الكبير بالسابقين عليه فيما عرض له من آراء وأفكار حول ماهية الله؟ وما مدى تأثره باللاهوت المسيحي أيضاً في تناوله لهذه الآراء والأفكار؟.
6. هل كان القديس ألبرت الكبير مجددًا فيما قال به من آراء وأفكار أم أنه كان مجرد ناقلاً لها؟

ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي والمنهج المقارن، وذلك نظرًا لما تتطلبه طبيعته من عرض لمجموعة الأفكار والآراء التي قال بها القديس ألبرت الكبير ، وبيان مدى تأثره بالسابقين عليه في عرضه لها، هذا بالإضافة إلى استخدام المنهج النقدي كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وتشتمل هذا الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة من المصادر والمراجع.

أما **المقدمة** فقد عرضت فيها للتعريف بالدراسة وأهميتها والمنهج المستخدم فيها والفرضيات الموجهة للدراسة.

**أما التمهيد**.فقد تناولت فيه بالدراسة حياة هذا القديس ومؤلفاته.

أما المبحث الأول فعنوانه: "**ماهية الله وأدلة وجوده وصفاته عند القديس ألبرت الكبير**"، وقد عرضت فيه لتصور القديس ألبرت الكبير لماهية الله ، كما عرضت لمجموعة الأدلة التي قدمها للبرهنة على وجوده مبينة مدى تأثره بالسابقين عليه فى عرضه لهذه الأدلة.

أما المبحث الثاني فعنوانه:"**مفهوم العناية الإلهية عند القديس ألبرت الكبير**"، وقد تناولت فيه بالشرح هذه الفكرة، وبينت مدى تأثر القديس ألبرت الكبير في تناوله لها باللاهوت المسيحي وبنزعته الفلسفية.

أما المبحث الثالث والأخير فعنوانه:"**صلة الله بالعالم وبالمخلوقات عند القديس ألبرت الكبير**"، وقد بينت فيه طبيعة هذه الصلة القائمة بين الله والمخلوقات مبينه مدى توفيق القديس ألبرت الكبير فيه بين العديد من التيارات الفلسفية المختلفة.

وأما **الخاتمة** فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة. والله الموفق للسداد.

# تمهيد: القديس ألبرت الكبير (حياته ومؤلفاته):

## أ- حياته:

ألبرت الكبير فيلسوف مدرسي ولاهوتي كبير[1]، كان أستاذًا للقديس توما الاكوينى*[2]، ولا نعرف تاريخ ميلاده على وجه الدقة*[3]،وأغلب الروايات تؤكد أنه ولد فى عام 1200مفى مدينه لاوينجن Lauingen في شفايا*Swabia بألمانيا[4]، واسمه الحقيقي البيرفون بولشتايت الملقب بألبرت الكبير[5]، وهو من أوائل المشائين المسيحيين الدومنيكان الكبار[6] كما يعد من ألمع الأساتذة في مدارس ألمانيا وجامعات باريس[7]،ولما بلغ ألبرت السادسة عشر من عمره قصد إلى إيطاليا والتحق بجامعة بولونيا ثم بجامعة بادوفا[8]، ثم التحق برهبنة الآباء الدومنيكان وصار راهبًا بها على مدار خمس سنوات[9]، ثم أرسل إلى جامعة باريس- تلك الجامعة التي كانت تمثل المناخ العقلي في باريس آنذاك؛ فكانت بمثابة مدينة الفلاسفة City of Philosophers- وذلك لأجل دراسة اللاهوت وظل بها حتى حصل على درجة أستاذ؛فكان هو الدومنيكانى الألماني الأول الذي حصل على درجة الأستاذية في مجال اللاهوت[10]، وفى أثناء تلك الفترة سعى القديس ألبرت إلى محاولة دمج الفلسفة اليونانية بالمذاهب المسيحية؛ فقام بترجمة العديد من المؤلفات الأرسطية بهدف إحياء الاستقلال الذاتي للعقل والفلسفة في مناظرة الإيمان واللاهوت المسيحي سعيًا منه إلى التوفيق بينهما[11]، مدافعا بالحجج العقلية أمام كل من يحاول الفصل بينهما[12]؛ فكان بالتالي واحدًا من أوائل من أعادوا صياغة الفلسفة الأرسطية- إن صح التعبير-[13]، ولقد قام القديس ألبرت بزيارات عديدة إلى روما، ولكنه استقر في كولونيا بوصفها المقر الرئيسي له حتى توفى بها عام 1280م على حسب ما تقول أغلب الروايات[14]،

ولم يمض على وفاته ربع قرن حتى كان يلقب بالأكبر The great؛ فكان هو المفكر الوحيد في العصور الوسطى الذي حظي بهذا اللقب[15]، كما تم إعلان قداسته عام 1931 [16]، وحصل أيضًا على لقب القديس النموذجي Patron Saint في العلوم الطبيعية وذلك في عام 1941.[17]

ولقد لقب القديس ألبرت بألقاب عديدة كان أشهرها جميعًا أنه أستاذ القديس توما الأكوينى، كما عرف أيضا بألبرت ماجنوس Magnus– وهى لفظه لاتينيه تعنى الكبير– وألبرت الكبير وألبرت الساكسوني، وأيضًا بالفقيه العالمي وبأرسطو الجديد New Aristotle؛ وذلك نظرًا لما قدمه من شروح على مؤلفات وكتب أرسطو برؤية جديدة[18]، وكان يلقب أيضًا بألبرت الكولوجونى وألبرت اللانجين وألبرت الألماني، ولعل من أشهر ألقابه اللقب المدرسي الذي أطلق عليه وهو لقب الأستاذ العالمي Doctor Universales ، وأيضًا الدكتور الماهر Doctor Exertus[19] كما لقب أيضًا بأستاذ المعرفة العلمية The Master of Scientific Knowledge؛ وذلك نظرًا لاهتمامه الشديد بالأمور العلمية.[20]والحقيقة أننا إذا كنا لا نعلم إلا تفاصيل قليلة عن حياة القديس ألبرت؛ فإن هذا يعود– بشكل مباشر– إلى طبيعته العقلية وتركيبته الشخصية والتي جعلته لا يدرج ضمن كتاباته إلا النذر اليسير عن سيرة حياته الشخصية؛ فكان– إن صح التعبير – قديسًا صامتًا أو بالأحرى قليل الكلام عن ذاته[21].

**ب– مؤلفاته**

يمكن القول بأن المؤلفات التي تركها لنا القديس ألبرت الكبير أكثر بكثير من المؤلفات التي تركها لنا أي مفكر أو فيلسوف وسيطى آخر[22]؛ وذلك نظرًا لتعدد المجالات التي خاض فيها بالبحث والدراسة وكذا التأليف؛ فمن العديد من المؤلفات اللاهوتية إلى العديد من المؤلفات الفلسفية والعلمية، هذا بالإضافة إلى المواعظ والشروح المقدسة على الأناجيل الأربعة والعهد القديم والكتب الرسولية[23]؛

فكان متعدد المواهب والمعارف وكان ينظر إليه باعتباره قيمة علمية كبيرة[24] ولقد أدى اهتمامه بالعلوم والبحوث التجريبية إلى جعله بمثابة راصدًا ثاقبًا للطبيعة لدرجة أنه جلب على نفسه شبهة السحر[25]، كما استطاع فى مجال الفلسفة أن يضع شروحًا على معظم مؤلفات أرسطو؛ فاستطاع أن يغوص بين جنباتها ويحلل تراكيبها مضيفًا إليها بعضًا من آرائه، كما كان لديه اهتمام خاص بالدمج- إن صح التعبير- بين المؤلفات الإسلامية واليونانية فيما يتعلق بمجال العلم الطبيعي[26]، غير أن سعة اطلاعه وعمق ثقافته لم تحجبه عن ذلة الوقوع في عدم الاتساق بين جنبات فكره؛ فلقد أخذت مواضع التناقض الكامنة عنده تكشف عن نفسها موضعاً إثر موضع، متخفية خلف ستار التوفيق، وقد أحدث ذلك ضرب من الشك أعلن عن نفسه في نظرية تلائمية أو- إن صح التعبير- توفيقية وهى نظرية الصدقين، وهذا ما سوف يتضح بين ثنايا هذا البحث.

ويشتمل هذا الإنتاج الضخم الذي تركه لنا القديس ألبرت الكبير على واحدًا وعشرين مجلدًا من القطع الكبير يمكن تقسيمها على النحو التالي:

**أولاً: في مجال العلوم اللاهوتية:** وتشمل شرح كتاب الأحكام- شروح كتب العهدين القديم والجديد- بالإضافة إلى مجموعة كتب لاهوتيه.[27]

**ثانيًا: في مجال العلوم الفلسفية:** وتشمل الشروح على المؤلفات الأرسطية وهى تتبع –بأمانة – عناوين كتب أرسطو وتقسيماته ومنها كتاب المنطق – الطبيعة–ما بعد الطبيعة–الأخلاق (الكتاب العاشر) السياسة(الكتاب الثامن)، هذا بالإضافة إلى مؤلفات أخرى منها في "وحدة العقل ردًا على ابن رشد"، وأيضا "المسائل الخمسة عشره ضد الرشديين"، وكذلك عددًا من الشروح ذات الطابع اللاهوتي المباشر على أسفار العهدين القديم والجديد، وأيضًا "الخلاصة "في المخلوقات" وشرح كتاب "الأحكام لبطرس اللومباردى" وكذا "الخلاصة اللاهوتية" وإن لم تكن صحيحة النسب إليه بحسب أغلب

الروايــات، وأخيــرًا وفــى عــداد الكتابــات الصــوفية "شــروح علــى محــاكي ديونيسيوس".*[28]

**ثالثًا: في مجال العلوم الطبيعية:** وتشمل مؤلف بعنوان في الخيمياء، ورسالة في الحيوان، وفـى النبـات، وفـى المعـادن، وفـى الآثـار العلويـة، وحـول خاصـيات المعادن.

ولقد طبعت مؤلفات القديس ألبـرت الكبيـر مـرتين المـرة الأولـى فـي ليـون بفرنسا عام 1651م في 21 مجلدًا من القطـع الكبيـر لكنهـا كانـت ناقصـة، والمرة الثانيـة فـي باريس عام 1890مفى 38 مجلدًا،وقد تـولى معهد ألبرتـوس مـاجنوس في كولونيا الإشراف على إصدار مخصص لمجموعة مؤلفاته عام 1931 ولا تزال مستمرة في الظهور حتى اليوم.[29]

ولكن بالرغم من كل ما كتب عن القديس ألبرت الكبير، وعلى الرغم من أن أعماله قد نشرت كاملة– كما سبق أن ذكرنا –إلا أننا لا نستطيع أن نعرف– على وجه الدقة– تاريخ هذه المؤلفات،أو بالأحرى تاريخ تأليفه لها؛ إذ يحتاج هذا الأمر إلـى مزيد من الدراسة والتدقيق[30] وبالتالي فإننا لا نستطيع أن نحدد بدقه تـواريخ هذه المؤلفات، أو حتى ترتيب نشرها، وأغلب الظن أن نشر شرحه لكتاب الأحكام لبطـرس اللومبـاردى، وأيضًـا كتـاب الخلاصـة فـي المخلوقات يسبقان – فـي تـاريخ نشرهما– نشر شروحه على كتابات أرسطو، كما يرجح أن كتابه "في وحدة العقل ردًا علـى ابـن رشـد" قـد كتبـه بعـد عـام 1270م، وأيضًـا شـروحه علـى مؤلفـات ديونيسـيوس المنحول،أمـا الخلاصـة اللاهوتيـة– والتـي يـرجح نسـبتها إلـى كتـاب آخرين– كما سبق أن ذكرنا – فقد بقيت دون أن تتم[31].

# المبحث الأول

# "ماهية الله وأدلة وجوده وصفاته عند القديس ألبرت الكبير"

**أولاً: ماهية الله وأدلة وجوده:**

مرت صور ماهية الله والبرهنة على وجوده عند القديس ألبرت بمرحلتين:

**المرحلة الأولى** كان مسايرًا فيها للمذهب الأوغسطيني؛ فكان –بالتالي– يشرح ويفسر ماهية الله أكثر بكثير مما يشرع فى البرهنة على وجوده؛ اعتقادًا منه بأن فكره الله تعد فكرة بديهية لا تحتاج لبرهان، كما أن وجوده يعد أمرًا بينًا وواضحًا بذاته، وبالتالي فهو لا يحتاج أيضا لبرهان.[32]

أما **المرحلة الثانية** فقد جاءت بعد أن تحول إلى المذهب الأرسطي، وبالتالي فقد أكد على ضرورة،أو بالأحرى وجوب البرهنة على وجود الله،ومن ثم فلم يعد يرى في هذه المرحلة أن وجود الله بينًا بذاته، وإنما أكد على ضرورة البرهنة عليه.[33]

وفى بيان المرحلة الأولى نجد أن القديس ألبرت يبين أن الله يعد كائنًا واضحًا وبينًا بذاته، وأنه لا يحتاج لبرهان،أو بالأحرى لا يحتاج لإقامة الدليل على وجوده؛لأنه قائم ومتحقق في كل شيء، وهو في هذا يقول: "إنه لمن المؤكد أننا نستطيع معرفة الله والوصول إليه بشكل مباشر وبموضوعية تامة دون مواجهة أية عوائق أو موانع"[34]. ويستطرد في عرض فكرته؛ فيقول: – "إن الله لا يمكن أن يكون غير موجود، أو بمعنى آخر أن الله لابد أن يكون موجوداً؛ وذلك لأننا لا يمكن أن نتصور، أو نعقل أنه غير موجود؛ فهو– إن صح التعبير– يعد موجودًا ضروريًا، وهو الكائن الوحيد الذي يتمتع بهذا الوجود الضروري".[35] بحيث تكون

مسألة الاعتقاد في وجوده والإيمان بحضوره مسألة بديهية لا يمكن جعلها موضوعًا للاستفهام أو سبيلًا للاستدلال؛ فهو الذي يمنح الكائنات وجودها بقدرته وبفاعليته، وهكذا في سائر الأشياء الأخرى كالعدد والوزن والمقدار والحجم وهكذا.(36)

حيث يؤكد القديس ألبرت أن هذا العالم يعد أشبه بعمل من أعمال الفن الإبداعي غير المسبوق بمثال،أو بنموذج؛وهذا يعنى أن كل شيء– قائم ومتحقق في العالم– هو من صنع الله كالخلق والمؤازرة والعناية والتدبير والأحكام والفعالية؛ بحيث يمكن القول بأنه لا شيء يمكن أن يوجد أو يخلق من ذاته، أو بالأحرى بقدراته ما لم يعتمد بشكل مباشر على قوة الله وقدرته اللانهائية وطاقته السرمدية(37)،مؤكداً أننا لا يمكن أن نعقل أن الموجودات وجدت بالمصادفة، كما لا يمكن أن تكون علة ذاتها(38)؛ فالعقل الإنساني لا يمكنه في تصوره أن يقول إلا بوجود الله مبيناً أن أي شك في وجوده لا ينشا إلا من خلال ضعف الروح الإنسانية ، أو عجز التفكير الإنساني عن الوصول إليه؛ بحيث تكون معرفتنا بالله مسألة فطرية لا تثير الجدل في العقل الإنساني(39)؛ بحيث يكون الله هو علة كل ما هو موجود،أو بالمعنى الأدق هو خالق الوجود، ويجب أن نطلق عليه لفظة "الخالق Creator"، ولعل هذه اللفظة تبين في ذاتها عمل الماهية الإلهية، والتي تعد بمثابة المبدأ الأول لكل الموجودات وسائر الكائنات والتي تعد سببًا في وجودها نظرًا لكونها لا تستطيع أن تكون علة لذاتها".(40)

وأود أن أشير إلى أن القديس ألبرت لم يكن هو أول من قال بهذه الفكرة بل سبقه إليها كثيرون؛ فإذا نظرنا إلى التراث اليوناني لوجدنا أن أفلاطون على سبيل المثال قد أكد في محاورة القوانين أن الاعتقاد في فكره وجود إله لا يأتي نتيجة استنباط أو ثمرة اجتهاد، بل هو أمر مسلم به ولا يختلف عليه أحد(41).

كما أننا إذا نظرنا إلى التراث المسيحي لوجدنا أن القديس أوغسطين* على سبيل المثال قد أكد على هذه الفكرة أيضًا، وجعلها أحد أدلته على وجود الله مؤكدًا في كثير من كتاباته على أن صاحب الفطرة السليمة الذي لم تدنس الرذائل نفسه والشهوات قلبه يمكنه بسهولة ويسر أن يجد فكرة الله واضحة تمامًا فى ذهنه دون حاجه لبرهان، والفكرة بنصها موجودة أيضًا عند القديس بونافنتورا* الذي أكد أن الله يعد حقيقة فطرية في عقل كل إنسان وأنه لا يحتاج لبرهان؛ فكل إنسان يتصور بفطرته الأولى وجود كائن علوي عظيم يتمتع بكل صفات الجلال والكمال ولا يوجد من هو أكمل ولا أعظم منه، مؤكدًا ضرورة أن نجلو الغشاوة والعوائق التي تحول دون وصولنا إليه موقنًا بأننا حين نجلو هذه الغشاوة عن أعيننا فسيصبح الله مدركًا في كل شيء.(42)

وفى بيان المرحلة الثانية يعرض القديس ألبرت لمجموعة من البراهين والأدلة لإثبات وجود الله متأثراً في ذلك– لا محالة– بالتراث الأرسطي، ويمكن عرضها على النحو التالي:

١- **الدليل الأول ويعرف "بدليل العلية"**: ويبين فيه القديس ألبرت أننا نصل إلى علة أولى بناء على استحالة التسلسل في العلل إلى ما لا نهاية، غير أن هذه العلة لا يمكن أن تكون متماثلة مع العلل المتناهية الأخرى الموجودة في العالم وإلا لكانت متناهية مثلها، ومن ثم لا تصبح علة أولى، بل تكون مفتقرة إلى علة أخرى مما يجعلنا نستمر في سلسلة من العلل المتناهية، الأمر الذي لا يمكن أن نعقله، ومن ثم فلا بد من الوقوف عند علة أولى لا متناهية وهو الله.(43)وبيان ذلك عنده أن العالم قد ظهر إلى حيز الوجود بفعل موجد أوجده؛ وهذا يعنى أن هذا الموجد قد أوجد العالم فى حيز الوجود، وهنا تظهر صورة المطلق (أعنى الله) على أنه العلة، وتظهر صورة النسبي (أعنى العالم )على

أنه المعلول، ولما كانت العلة دائمًا سببًا لمعلولها؛ فبالتالي يكون الله موجودًا؛ بحيث تكون صله الله بالعالم كصلة العلة بالمعلول.(44)

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن العقل لا يستطيع الوصول إلى العلة الأولى إلا من خلال المعلولات؛ وهذا معناه أننا لا نستطيع الوصول إلى الله إلا عن طريق العالم الحسي، وذلك بدليل كوسمولوجى، "أي كوني" يصعد من المعلول إلى العلة، وليس بدليل انطولوجي "أي وجودي" يبدأ من الكائن الأول أى "الخالق" ويهبط منه إلى سائر الكائنات "المخلوقات"؛ بحيث أننا نستطيع أن نصل– في سهولة ويسر – من خلال تأمل العالم إلى وجود الله.. (45)

وهذا يعنى أن القديس ألبرت يؤكد في هذا الدليل أننا لابد وأن نبدأ من المحسوس؛لأن المعرفة تنشأ من الحس كما يقول أرسطو، وإن كانت هذه المعرفة لا يمكن أن تصل إلى إدراك المعقول التام في ماهيته، وإنما كل ما تستطيع أن تصل إليه هو القول بوجود هذا المعقول، ومن ثم يمكن القول بأن القديس ألبرت قد اعتمد في هذا الدليل على إثبات وجود الله بدءاً من الوجود المحسوس حتى نصل إلى المعقول الأول وهو الله .

وهنا يبدو التأثر الواضح من قبل القديس ألبرت بأرسطو؛حيث يقدم أرسطو هذه الفكرة كدليل على وجود الله وإن اختلفت وجهات النظر بين كلاهما؛ فأرسطو لم يعرض الدليل لإثبات وجود الله ولكن لإثبات استحالة التسلسل في جنس العلل إلى ما لا نهاية وضرورة الوقوف على عله أولى،أما القديس ألبرت فيهدف منه إلى بيان ضرورة وجود علة خالقه لهذا الكون(46).

والواقع أننا إذا تتبعنا هذا الدليل لوجدنا أن القديس ألبرت لم يكن هو أول من قال به بل سبقه إليه كثيرون سواء من فلاسفة اليونان أو من فلاسفة المسيحية؛ فإذا نظرنا إلى فلاسفة اليونان لوجدنا أن هذه الفكرة قد ظهرت في

أوضح صورها؛ فأفلاطون- على سبيل المثال- قد اعتمد على هذه الفكرة في إثبات وجود الله وهو في هذا يقول:- "إن كل ما ينشأ إنما ينشأ بالضرورة عن علة؛لأنه من المستحيل أن شيئا ما أيًا ما كان ينشأ بدون علة"[47] ويقول أيضًا: "إن كل ما ينتج {أي العلة} إنما هو سابق بطبيعته على ما ينتج {أي المعلول}"[48].

وإذا انتقلنا من فلاسفة اليونان إلى فلاسفة المسيحية لوجدنا أن الفكرة موجودة بنصها أيضًا لدى كثير منهم؛فالقديس أوغسطين على سبيل المثال يتخذ من هذه الفكرة أيضًا دليل على وجود الله، وإن اختلفت التعبيرات والمصطلحات، حيث يؤكد القديس أوغسطين أن هناك مجموعة من الحقائق المودعة في النفس وأن هذه الحقائق لا يمكن أن تكون هي علة ذاتها بل لابد من وجود مصدر آخر هو الذي أودع هذه الحقائق في نفوسنا وهو الله[49]، كما نجد ذلك أيضًا عند القديس بونافنتورا الذي يعتمد في استدلاله على وجود الله على الصعود من المحسوسات مرتفعًا إلى المعقولات مستنبطًا العلة من المعلول، أو بالأحرى صاعدًا من المعلول إلى العلة، مؤكدا أنه إذا كان الله هو علة الأشياء حقًا؛ فمن الممكن الصعود من الأشياء للبرهنة عليه؛ وذلك لأن حقائق الأشياء تعود إلى مبدئها الأول وحقيقتها العظمى؛ وهذا يعنى أن كل المخلوقات تؤدى بطرق عديدة إلى البرهنة على وجود الله[50]؛ بحيث يكون الكون كله أشبه بالكتاب الذي نقرأ فيه بل في كل صفحه من صفحاته فكرة الثالوث[51]،كما يبدو تأثر القديس ألبرت في هذا الدليل أيضًا بالقديس بولس الذي يقول:-"إن كمالات الله غير المنظورة تتراءى للعقل من خلال المنظورات".[52]

2- **الدليل الثاني ويعرف "بدليل الحركة"**:ويبرهن فيه القديس ألبرت على وجود الله اعتمادًا على فكرة الحركة مبينًا أن سلسلة من المحركات غير المتناهية في

هذا العالم يعد أمرًا مستحيلاً وبالتالي فلابد من الوقوف عند محرك أول يحرك العالم دون أن يتحرك وهو الله (53)

وبيان ذلك عنده أن الشيء المتحرك يتحرك بفعل متحرك آخر؛ وحركة هذا الشيء تتطلب متحرك ثان أيضًا؛ فإذا كان هذا المحرك الثاني متحرك فلابد أن نبحث عن محرك ثالث يعد سببًا لحركته، وإذا استمر هذا التسلسل إلى ما لا نهاية فلن نجد هناك تفسيرًا للحركة؛إذ من غير المعقول أن نظل نتدرج في سلسلة المحركين والمتحركين إلى مالا نهاية، ومن ثم فلابد من الوقوف على محرك أول ثابت يحرك العالم دون أن يتحرك وهو الله. (54)

ومن الملاحظ أن القديس ألبرت متأثر في هذا الدليل أيضًا بأرسطو وإن اختلف الهدف بين كلاهما؛إذ المحرك الأول عند أرسطو ليس أكثر من علة فاعلة للحركة وعلة غائية أيضًا؛ بحيث يعتمد عمله على تحريك الفلك المحيط وإلى جانبه محركون مساعدون له قد يصل عددهم إلى أكثر من 54محركًا،أما القديس ألبرت فيقول بوجود محرك واحد ثابت يحرك العالم مباشرة دون وساطة، كما يرفض القول بتعدد المحركين(55). وهذا أمر طبيعي؛ فالقديس ألبرت رجل دين وصاحب ديانة سماوية تؤمن بالإله وتقدس صفاته، وذلك على عكس أرسطو فهو فيلسوف وثنى صاحب فلسفة عقيمة تؤمن بالتعدد والوثنية وتنفى القول بالعناية والوحدانية.

وعلى الجملة يمكن القول بأن القديس ألبرت قد اعتمد في استدلاله على وجود الله اعتمادًا مباشرًا على فكرتى العلية والحركة مؤكدًا ضرورة الوقوف على مبدأ أول ورافضًا لفكرة التسلسل إلى ما لا نهاية.

وأود أن أشير إلى أن هذه الأدلة التي قدمها القديس ألبرت في استدلاله على وجود الله قد تأثر بها تلميذه القديس توما الإكوينى بشكل مباشر، وذلك في

عرضه لأدلته على وجود الله، حيث قدم القديس توما الإكوينى خمسة أدلة على وجود الله اشتملت على دليلى الحركة والعلية؛ وكانت أبعاد الفكرة واحدة ومشتركة بينه وبين أستاذه القديس ألبرت، لبيان وإثبات القول بوجود الله،حيث أكد القديس توما الإكوينى على وجود محرك أول ثابت يحرك العالم دون أن يتحرك؛ وذلك بطريقة مباشرة ودون وساطة، كما رفض القول بتعدد المحركين شأنه في ذلك شأن أستاذه القديس ألبرت، كما اعتمد القديس توما الإكوينى في قوله بدليل العلية على نفس ما اعتمد عليه أستاذه القديس ألبرت، وهو ضرورة الوقوف على علة أولى خالقه لهذا الكون، مؤكدًا أن الموجودات لا يمكن أن تتواجد بذاتها،وإنما لابد من موجد أول لها.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الأدلة التي ساقها لنا القديس ألبرت لإثبات وجود الله لم تكن مأخوذة بنصها من أرسطو، أو بالأحرى أنه لم يعرض لها كما عرض لها أرسطو؛ بحيث يمكن القول بأن تأثره بالفلسفة الأرسطية لم يمنعه من نقدها بل ورفضها كلما اقتضى الأمر؛ فإذا كانت الكنيسة الغربية قد حرمت الفلسفة الأرسطية،أو بالأحرى حرمت نشر كتب أرسطو في مدارس باريس باستثناء كتب المنطق؛ فإن القديس ألبرت رأى أن أفضل طريقه لإثبات إجازة الفلسفة الأرسطية وإظهار مشروعية دراستها لا يكون عن طريق إدانتها، بل دراستها والبحث فيها بعمق وروية وصدق مرجعية لنقدها عند الضرورة وتأييدها عند الضرورة، ومن هنا كان سعيه الجاد لأجل الإطلاع عليها والعمل على فهمها، ولعله في هذا الأمر يعد رائدًا سباقًا لا لتلميذه القديس توما الأكوينى فحسب، بل لمعظم المفكرين الذين حاولوا– بعده– التدقيق التام في آراء وأفكار فيلسوف ما–لأجل دراستها دراسة موضوعية، وبالتالي التمييز فيها بين ما يجب نقده وتفنيده وبين ما يجب أخذه وتأييده.

**ثانيًا: صفات الله:**على الرغم من تأكيد القديس ألبرت– في المرحلة الأولى– على أن الله يعد كائنًا واضحًا وبينًا بذاته، وأن أمر وجوده لا يحتاج لبرهان، إلا أنه أكد أن الله يعد كائنًا مجهولًا، أي غير معروف– إن صح التعبير– بمعنى أننا لا نستطيع الإحاطة به أو الحديث عنه؛ لأنه ليس هناك تناسب بيننا وبينه؛ إذ كيف يحيط المتناهي باللامتناهي؟! وكيف يحيط المحدود باللامحدود؟! وبالتالي فلا يمكن الإحاطة به أو الحديث عنه؛ لأنه يتعالى على كل التصورات والأسماء التي تخلع عليه.[56]

كما يبين أن الوجود والماهية يمثلان في الله شيئا واحدًا[57]؛ بحيث لا يمكن أن تنفصل ماهيته عن وجوده مبينًا أنه أيًا كانت هذه الأسماء التي يتصف بها الله؛ فإنها يمكن أن تحمل عليه بمعناها الأسمى الذي يعلو فوق كل معنى حسي، ويسمو على كل تصور بشرى؛ فعلى سبيل المثال:إذا قلنا بأن الله يعد جوهرًا؛ فهذا ليس لأنه يتبع مقولة الجوهر، لكن لأنه فوق كل الجواهر، كما أن فكرة الوجود تشير إلى الفكرة المجردة العامة للوجود، والتي يمكن أن تنطبق عليها فكرة الله؛ بحيث يكون الله وجودًا، أو بالأحرى فوق كل وجود، لا تابعًا لمقولة الوجود[58]؛ مؤكدًا أنه يمثل الوجود الضروري الذي لا يختلط به أي وجود عارض، كما أنه لا يشوبه أي وجود بالقوة؛ فهو يمثل وجودًا خالصًا، أو بالأحرى فعلًا خالصًا، كما أنه يتصف بالحياة والحرية والقدرة اللانهائية، مؤكدًا أن صفاته تعد هي عين ذاته أي أنها ليست مضافة إليه ولا محمولة عليه.[59]

هذا بالإضافة إلى تصوره للذات الإلهية على أنها المحرك الأول Prim Mover الذي لا يتحرك، وأنها العقل الذي يدرك ذاته[60]، كما يصفها بصفة اللانهائية، مؤكدًا أن هذه الصفة تعد صفة أساسية للذات الإلهية[61]، وأنه– كما سبق أن بينا– يعلو فوق كل التصورات وعلى كافة الأسماء التي نحملها عليه،

معليًا من شأنه ومتخذًا من معرفته بطريق السلب وسيلة لبيان وصفه؛ بمعنى أننا نعرفه بما ليس هو أكثر من معرفتنا بما هو[62].

وأود أن أشير إلى أن القديس ألبرت متأثر في تنزيهه للذات الإلهية تنزيهًا مطلقًا بديونيسيوس الذي أكد في مؤلفه الأسماء الحسنى: "أن الصفة الأولى للذات الإلهية هي الخيرية، مؤكدا أنها تمثل مبدأ الأشياء جميعًا، وأنه كبيرًا عظيمًا وأن عظمته ذاتية، وأنها تفوق كل عظمة، وأنه لا يسمى ولا يفسر لأنه يمثل الكائن الذي يعلو على كل اسم وكل فعل وكل عقل"،[63] مضيفًا إلى ذلك أنه خالق كل الكائنات، وأنه يملك سمات كل خلائقه، مؤكدًا أن كل الصفات التي بوسعنا أن نصف بها المخلوقات تنبع منه وتنشأ عنه، كما يبدو تأثره به فيما يتعلق أيضاً بنفي الصفات عن الله، أو بالأحرى فيما يتعلق باتخاذ طريق السلب لبيان وصفه ومعرفة صفاته؛ إذ نجد أن ديونيسيوس أكد أننا نستطيع أن نعرف ما ليس عليه الله أكثر بكثير مما نعرف ما هو الله، مؤكدًا أننا إذا أردنا أن نعرفه حقًا؛ فإنه يجب أن نبدأ بالإنكار وبرفض كل ما لدينا من أفكار عنه، وهذا هو ما يعرف "بالفكر اللاهوتي السلبي"؛ الذي يؤكد أننا لا نستطيع أن نتعرف عليه؛ بمعنى أنه لا يمكن لأي فكر نكونه عنه أن يجعلنا نعرفه حقًا، مبيناً أن هذا الفكر اللاهوتي السلبي لا يهدم مطلقًا الفكر اللاهوتي الإيجابي، ولكنه يعلمنا أن الله يسمو على كل ما نستطيع أن ننكره عليه أو نثبته له؛ فعندما نقول عن الله أنه صالح؛ فنحن نطبق عليه فكرة الصلاح المأخوذة من المخلوقات، ولكن الله ليس صالحًا بنفس الطريقة التي عليها المخلوقات، بل أنه صالح بطريقة أكثر كمالًا وسموًا مما عليه المخلوقات، أو بالأحرى أن صلاحه أسمى من أن يقاس بأي صلاح يمكن تصوره.[64]

وأود أن أشير إلى أن القديس توما الإكويني قد تأثر بأستاذه تأثرًا مباشرًا في هذه النقطة بالتحديد؛ إذ نجد أنه قد اعتمد في حديثه عن الصفات الإلهية على

طريق إيجابي يسلك (مسلك التشبيه)، وطريق سلبي يسلك (مسلك التنزيه)، كما أنه قد اعتمد في بيان صفات الله على طريق التنزيه؛ إذ نجده قد ذكر ما ليس هو أكثر من ذكر ما هو عليه[65]؛ وبيان ذلك أن صفات الله عنده قد انقسمت إلى صفات سلبية {أي صفات نفى}- إن جاز التعبير- وصفات ايجابيه {أي صفات ثبوت}، والصفات السلبية تعنى ما ليس هو؛ والمقصود بها تلك الصفات التي تنزهه عما لا يليق به باعتباره الكائن الأول المطلق الذي لا يجوز عليه الفناء والتركيب، ومن أمثلتها أنه ليس بجسم، ولكنه صورة مفارقة متعالية، وأنه روحًا خالصًا ، وأنه بريء من كل نقص وفساد وحركة وتركيب وتغير وصيرورة، وأنه يمثل عين ماهيته وعين وجوده وعين كل ما يثبت له من صفات، أما الصفات الإيجابية، أو الثبوتية فهي التي تبين ما هو؛ أي تلك التي تدل على كمالاته ومن أمثلتها العلم والإرادة والقدرة والعناية، وأنه موجود بالذات، وأنه أزلي أبدى سرمدي، وأنه فعل محض لا تشوبه قوه ولا يخالطه انفعال[66]، وهو في هذا يقول:- "إن هذا الموجود الأول الذي نسميه الله نستطيع أن نستنتج صفاته بطريقة إيجابية من خلال إثبات وجوده بطريقة عقلية،أما الطريقة السلبية فهي ليست عيبًا ولا تحدث نقصًا في الذات الإلهية؛ وذلك لأننا لا نستطيع أن ندرك أي مفهوم إدراكًا جيدًا إلا عن طريق إدراك نقيضه؛ فنحن لا نعرف الخير ولا ندركه إلا إذا كانت لدينا معرفة مسبقة عن الشر وهكذا؛ فالنقيض يوضحه نقيضه"[67].

وبوجه عام يمكن القول بأن تصور القديس ألبرت للذات الإلهية قد اعتمد بشكل مباشر على فكرتى العلية والحركة بناء على تأثره بالفلسفة الأرسطية، ولكنه لم يقف عند هذا الحد؛ بل أكد أن الله يعلو على كل التصورات والصفات التي تخلع عليه بناءً على تأثره بكتابات القديس ديونيسيوس كما سبق أن بينا.

# المبحث الثاني
# "مفهوم العناية الإلهية عند القديس ألبرت الكبير"

بعد أن عرضت لماهية الله وأدلة وجوده وصفاته عند القديس ألبرت، أجد لزامًا على أن أعرض لماهية العناية الإلهية من قبل الله لهذا العالم؛ وذلك نظرًا للارتباط الشديد بين الأمرين.

حيث يؤكد القديس ألبرت أن هناك تلازمًا واضحًا بين وجود الموجودات وبين العناية بها وهو في هذا يقول: "إنه لما كان الله يوجد في كل شيء وهو العلة الأولى لكل شيء؛ فهو بلا شك يعتني به"، مؤكدا أنه من التناقض أن نؤمن بعملية الخلق دون أن نؤمن في نفس الوقت بالعناية الإلهية؛ فبما أن الله صنع كل شيء في السموات والأرض؛ فينبغي أن يكون كل شيء خاضع لحكمه ومطبوع به- إن صح التعبير- فالأشياء قد خلقت فرادى؛ وبالتالي فهي محاطة بعناية إلهية تلبى احتياجاتها الطبيعية، وتدبر أمورها الشخصية، وتقود كل منها إلى غايته الجزئية؛ وهذا يعنى أن الموجودات لا توجد ولا تبقى إلا بإرادة الله الذي خلقها وأنها تعتمد عليه في تدبير شئونها، كما تعتمد عليه في وجودها سواء بسواء؛ فلابد من التسليم إذن بأن كل شيء في الكون منظم وموجه وفقًا لغاية بما في ذلك الإنسان نفسه"[68]، ويؤكد على نفس المعنى فيقول: "إنه لا يوجد شيء من الأشياء- من أصغرها إلى أكبرها ومن أقلها إلى أكثرها ومن أعلاها إلى أدناها- إلا وهو محفوف بالعناية الإلهية من الله؛ فلا شيء يمكن أن يخرج عن نطاقها، كما لا يمكنه الهروب منها ولا الفكاك عنها؛ وذلك لأنه لا يستطيع البقاء دونها، كما أنه لا يستطيع تدبير أموره الإرادية، {أي المتعلقة بإرادته الشخصية} أو أموره غير الإرادية، {أي الخارجة عن إرادته إلا بفضلها}".[69]

ومن الملاحظ أن فكرة العناية هنا تمتد لتأخذ منحنًا جديدًا، أو ترتدي ثوبًا جديدًا– إن صح التعبير– مرتبطة إلى حد كبير بما جاء في نصوص العهد القديم، وهذا ما يبدو واضحًا بنص حديث القديس ألبرت الذي يؤكد فيه أن العناية تمتد لتشمل كافة المخلوقات وسائر الكائنات من أدناها إلى أعلاها ومن أصغرها إلى أكبرها، وهذا ما ورد بنفس المعنى في نصوص العهد القديم التي أكدت أن عناية الخالق تمتد لتشمل الطبيعة بأسرها طالما أن كل مصنوعات الله هي ملكًا له؛ فالأب السماوي يطعم طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تبنى لها صوامع لتخزن فيها الغلال،ومع ذلك فهي تحيا وتقتات، وهذا ما جاء بنصه: "انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع في مخازن وأبوكم السماوي يقوتها، ألستم أنتم بالأحرى أفضل منها. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ولا تتعب ولا تغزل؛ فإذا كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدًا في التنور يلبسه الله هكذا، أفليس بالأحرى أن يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان"[70] وإذا كان ذلك يقال على الطيور فما بالك بما يقال عن الإنسان الذي هو أفضل عند الله من كل مخلوقات العالم؟! ولماذا يخشى الإنسان– إذن– ويخاف؟! والعناية الإلهية تهتم به وترعاه؟! عليه– إذن– أن يتخلى عن كل متاعبه وألا يفكر في الغد وأن يترك ذلك كله للعناية الإلهية التي تطعم طيور السماء وتلبس زنابق الحقل فهي إذن سوف تعتني به وترعاه[71] ، إن الرجل المسيحي لا عليه إلا شيئا واحدًا ضروريًا هو البحث عن مملكة الله، وعن عدالته، وعندئذ سوف يحصل على جميع احتياجاته[72]؛ فاطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم[73].

وهذا يعنى أن القديس ألبرت يؤكد ضمنيًا أن العناية الإلهية تمتد لتشمل سائر الكائنات مؤكدًا أن صانع هذا الكون عالم به وبكافة جزئياته وبأدنى تفصيلاته؛ لأن قدرته اللامتناهية تجعله ملم بكل تفاصيله الدقيقة، وهنا يبدو الأثر الأوغسطينى في فلسفة القديس ألبرت حيث يؤكد القديس أوغسطين على التلازم

الضروري بين وجود الله والمخلوقات وبين وجود المخلوقات والعناية بها مؤكداً أن الموجودات لا توجد ولا تبقى إلا بإرادة الله الذي خلقها؛ مبينًا أنها تعتمد عليه في تدبير شئونها كما تعتمد عليه في وجودها سواء بسواء.

كما أود أن أشير إلى أن ما جاء بنص حديث القديس ألبرت بقوله: "إن الله يوجد في كل شيء، وأنه العلة الأولى لكل شيء"، يعنى بشكل مباشر أن العالم يعد صنيعة الله؛ وبالتالي فلا يوجد شيء نتيجة قدر أعمى أو عشوائية ضالة، وإنما يكون صنيعة حكمة عليا تعلم كل ما تصنع وتدرك كل ما تفعل؛ وهذا يعنى بلا أدنى شك تأكيد فكرة العناية الإلهية طالما أن تدبير الأشياء وإحكامها يرتبط بشكل مباشر بخلقها؛ فخلقها إذن يعنى تدبيرها، كما تعنى عبارة أنه العلة الأولى لكل شيء، أن كل ما هو حادث لا يستطيع أن يعطى لنفسه لا الصورة ولا المكان ولا الزمان الذي يحتله في هذا الكون؛ وبالتالي فلابد من التسليم بأن كل ما هو حادث إنما يستمد صورته من محدث، وهو الله الذي يعد هو الصورة الأزلية الثابتة الخالدة، ولما كان كل ما هو موجود لا يوجد إلا بفضل صورته؛ بحيث إذا نزعت عنه صورته توقف عن الوجود؛ وإذا كان الله هو الصورة الثابتة التي تستمد منها كافة المخلوقات صورتها العارضة وتعتمد عليها في تدبير أمورها وصلاح شئونها؛ فإن هذا يعنى أنه بالله ولا بشيء سواه، وبالتالي يتحقق الوجود وتحقق العناية الإلهية. ومن الملاحظ أن القديس ألبرت يؤكد هنا ضمنيًا على وجود الصور، أو– إن صح التعبير– الأصل الأول للأشياء شأنه في ذلك شأن سائر فلاسفة المسيحية، وإن اختلفت طريقه فهمهم ومعالجتهم لهذه الصور ولأوضاعها؛ فالصور عند ألبرت موجودة في الله ومتحدة معه في هوية واحدة بوصفها الصور التي على غرارها صنعت الأشياء ولا توجد خارجه عنه– أو بالأحرى لا تكون مفارقة له كما قال بذلك أفلاطون– بحيث تكون ماهيته هي مبدأ وجود الأشياء وخلقها باستثناء ذاته المتعالية؛ لأنها تمثل الوجود بالذات؛ وبالتالي فهي لم تخلق ولم تصنع، ولكن

يمكن مشاركتها بوصفها قابلة للمشاركة بطريقه ما؛ بحيث يمثل كل مخلوق نمط معين من أنماط المشاركة في الماهية الإلهية، أو بالأحرى يكون قابلًا للمشاركة في هذه الماهية الإلهية بطريقه ما[74].

ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد أكد القديس ألبرت أن قابلية المشاركة في الماهية الإلهية لا تعنى بأي حال من الأحوال أن تتحقق الرؤية المباشرة للذات الإلهية؛ موقنًا بأنها تعد بمثابة حصر على المختارين من قبل الله بفيض من منحته ورحمته؛ والتي تصل بصاحبها إلى حالة الانخطاف- على حد تعبيره- مؤكدًا أن الله قادر على أن يستثنى من خليقته ما يشاء، وأن يمنحها من النعم ما يريد؛ بحيث يتسنى لها التخلي عن الطاقات البشرية، أى العلائق المادية والنوازع الحسية فلا تكاد تحظى بأي اهتمام، ولا تستخدم بأي استخدام، مؤكدًا أن هذه الحالة تختلف عن حالة التعبد التي لا يتم التخلي فيها عن الطاقات البشرية ولا عن الرغبات الحسية، ولكنها تستخدم في أضيق نطاق[75]، ومع ذلك يمكن القول بأن القديس ألبرت قد وضع حدًا فاصلًا بين التعبديين والمتأملين- إن صح التعبير- ففي حالة التعبد تحدث الإشراقات وتتنزل الفيوضات وتدرك الإلهامات, وفى حالة الانخطاف تتحقق المشاهدات وتستشعر الذوقيات وتنال السعادات.

وهكذا فلم يعد موضوع اللاهوت عند القديس ألبرت مرتبط بالوجود بما هو موجود فقط، لكنه صار مرتبط بالوجود الذي يصل بالإنسان إلى الغاية العظمى والسعادة القصوى [76]. حيث يؤكد القديس ألبرت أن هدف الكون هو السعادة أو الغبطة؛ وبالتالي فإنه لما كانت الموجودات العاقلة هي وحدها القادرة على الاستمتاع بهذه الغبطة؛ فإن العناية الإلهية قد اختارت هذه الموجودات البشرية ووجهتها نحو غايتها بطريقة خاصة جدا[77]، وذلك من خلال تأثير نور الإيمان تأثيرًا مباشرًا على الذهن بحيث يتلقى العقل قبسًا منبثقًا من نور المجد؛ وهذا النور

يصعد بالعقل إلى الوحدة مع الله مما يحقق لصاحبه، أو بالأحرى للمختارين الرؤية السعيدة في الوطن السماوي، ويتحقق الاتصال بين الله والإنسان(80).

حيث يؤكد القديس ألبرت أن الإنسان وحده هو الذي يمثل الصلة بين الله والعالم؛ وذلك لأنه يمتلك في ذاته عقلًا إلهيًا- إن صح التعبير- وبفضل هذا العقل الإلهي يستطيع الإنسان أن يرتفع، أو بالأحرى يرتقى نحو عالم السماء، ويعلو بنفسه فوق حدود نفسه- على نحو ما نرى عند أولئك الذين يصلون إلى أسمى الأحوال وأرقى المقامات- فيفتح له باب الخروج على نواميس الطبيعة، وهذا هو ما يقال عنه أنه صاحب كرامة، أو خارقاً لنواميس الطبيعة، أو بالأحرى استثناء؛ فيصير- إن صح التعبير- إنسانًا إلهيًا، أو بالأحرى فيلسوفًا كاملًا، وتحقق له السعادة العظمى(78)، وهنا تظهر لنا بوضوح إضافة القديس ألبرت إلى المدرسة الدومنيكانية الألمانية؛ والتي تتمثل في نظريته عن الاتصال وفكرة السعادة الدنيوية التي تصاحبها.

ومن الواضح أن القديس ألبرت متأثر هنا بأفلوطين الذي أكد أن إدراك الإنسان لله وبلوغه السعادة يتحقق بشرطين الأول: أن يكون الإنسان كائنًا إليهًا وهو في هذا يقول: - "تصير النفس سعيدة بقدر ما تتشبه بالله، والثاني أن يصعد إلى العالم العقلي، مبينًا أن النفس عندما تترفع عن كل شيء فإنها تحيا مع الوجود الخالد، ولو للحظات خاطفة عابرة، وهذا كفيل بنبلها وسعادتها"(79)، وتلك هي حقيقة الجذب الأفلوطيني؛ الذي يعنى باختصار اتصال النفس بالواحد، موقناً بأن هذا الاتصال يمثل دربًا من دروب التماس، مؤكدًا أن هذه الحالة لا يصل إليها كل الناس، وإنما الفلاسفة وحدهم، مبيناً أنها لا تحدث إلا نادراً، ولا تستمر إلا لفترة قصيرة، حيث يغمر النفس نور هو نور المصدر الأول للوجود؛ إذ الشمس لا ترى بنور آخر غير نورها، مؤكدًا أن هذا لا يدرك إلا من خلال تجربة شخصية يكون مصدرها التأمل الباطني وتطهير النفس من كافة علائقها

المادية،[80] موضحاً أن أصدق وسيلة للوصول إلى هذه الحالة هو الاجتهاد في الزهد في الدنيا، وفى كل شيء سوى الله[81]؛ بحيث يصير فعل التحرر من الجسد وعلائقه ومن كل أثر مادي شرطًا أساسيًا للتطهر تقليدًا لله وتشبهًا به[82]، مؤكدًا أنه إذا حدث ذلك فإن النفس ترى الإلوهية إلى الحد الذي يحق لها أن تصل إليه في رؤيتها، وتشهد نفسها قد ملئت بضياء عقلي، وتسير في طريقها إلى أن تكون إلهًا.[83]

وتمتد فكرة العناية الإلهية عند القديس ألبرت لتشمل الجانب الديني والحياتي فيقدم في نظرته لعناية الله بالخلق رؤية جديدة تمتد لتشمل عنايته ورحمته ولطفه بالتائبين والعائدين إليه فيقول: "إنه أعلى من كل قلقك، وأكبر من كل همك، ومن ثم فهو قادر على أن يساندك ويدعمك، ولك أن تنظر إلى بني البشر؛ فستجد إنه لا أحد يثق به ويركن إليه إلا ويساعده ولا يخذله؛ فالمخطئ الذي يؤمن به حق الإيمان، ويصدق معه في اعترافاته، ويندم فعلاً على خطاياه ويتبرأ تمامًا من ذنوبه ومعاصيه؛ يكون رفيقاً به حنوناً عليه؛ وبالتالي فإنه مهما بلغت ذنوبك وعظمت خطاياك؛ فما عليك إلا أن تضع ثقتك في الله وتركن إليه وحده ولا شيء سواه وعندئذ فستجده معك ولا يتركك؛ فالله يعطى من النعمة ويهب من اللطف على قدر الثقة به والركون إليه، أما إذا لم تكن على درجة عالية من حسن الظن به واللجوء إليه؛ فإنه لن تدركك رحمته ولن تشملك نعمته ولن تنعم بلطفه"[84].

ويستطرد القديس ألبرت في شرح فكرته فيقول: "إنه وبناء على حسن الظن بالله ونسبة كل الأشياء الخيرة إليه؛ فإنه– وبوعده– يكون قادرًا على تغيير كل الأقدار السيئة وجعلها حسنة، وهنا تبدو لنا قدرة الله اللامتناهية، ويتضح لنا مدى خيريته ونعمته والتي تظهر في أبهى صورها في شخص يسوع المسيح المخلص المنقذ الفادى، وكذا في الجمال المتحقق في الأشياء، وفى الإثابة على كل خير والعقاب على كل شر، كما تبدو في عفوه عن المذنبين وقبوله للتائبين وحنانه

على النادمين وفى فيض خيريته المتدفقة على عباده، وفى رحمته الممنوحة للخلق أجمعين".(85)

ويتعمق القديس ألبرت في أبعاد فكرة العناية؛ فيؤكد ضرورة يقين الفرد بعلم الله المسبق بأحوال عباده وما يناسبهم، وبالتالي فهو لا يقدر لهم إلا الخير، ولا يفعل بهم إلا الخير، وأنه أبعد ما يكون عن أن يفعل بهم الشر؛ لأن هذا يتنافى مع خيريته؛ وهذا يعنى أن القديس البرت يؤكد على أن العناية الإلهية تجعل كل جزء من هذا الكون يمثل خيرًا بذاته؛ فالخيرية تملأ الكون وتحف المخلوقات عن طريق غزارة المجد *Glory الخلاق؛ وهو في هذا يقول: "إن كل الأشياء قد خلقت بفضل الفيض أو الكرم المجد الإلهي؛ وبالتالي فهي بلا جدال تكون خيرة؛ لأن الله هو الخيرية المطلقة؛ فدعنا إذن نوقن من أن كل ما يحدث لنا هو في حقيقته خير؛ لأن الله لا يسمح إلا بالخير وما يؤدى إلى الخير؛ وهذا الخير يوجد بالقدر الذي أراده الله؛ لأنه هو وحده القادر على حدوثه، كما أنه هو وحده الذي يمتلك الإرادة الكاملة لتغييره والصعود به إلى أفضل مما هو عليه"(86)، ولما كان الخير لا ينتج عنه إلا الخير؛ فهذا العالم بالتالي يعد خيرًا؛ لأنه ناتج عن الله الذي يمثل كل خير(87)، ولعل القديس ألبرت متأثر هنا بما ورد في نصوص الكتاب المقدس التي تقول:- (كل خليقة الله جيدة)(88).

وأود أن أشير إلى أن هذه الفكرة التي قال بها القديس ألبرت موجودة بنصها لدى أغلب فلاسفة المسيحية؛ إذ نجد أن التأكيد على القول بوجود الخير الدائم القائم والمتحقق في الموجودات يعد قاسمًا مشتركًا بين الأغلبية منهم، مؤكدين أن جميع الأشياء التي خلقها الله خيرة، وإن لم تكن على درجة واحدة من الخيرية؛ فهناك ما هو خير وهناك ما هو أخير منه، ولكن هناك أيضاً ما هو أقل منهم خيرية، والأقل خيرية هو بمعنى ما شر، لكنه ليس بكليته شر؛ لأنه وجود وطالما أنه وجود فهو بلا شك خير؛ مؤكدين تدرج نسبة الخير والشر في سائر المخلوقات

على أساس أن هذا يعد أمرًا طبيعيًا بل وضروريًا لإثبات الكمال الأعظم الذي يسعى إليه الكل.

كما أود أن أشير إلى أن القديس ألبرت أثناء حديثه عن فكرة العناية الإلهية قد تناول بين ثنايا نصوصه فكرة الاعتراف* والنعمة** وهى أفكار ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا باللاهوت المسيحي، ومن المعروف أن هذه الأفكار قد سبقه إليها كثير من فلاسفة العصر الوسيط بدءًا من القديس أوغسطين وحتى فلاسفة العصر المدرسي، وبخاصة القديس وبونافنتورا ودنس سكوت*؛ فمن المعروف أن فكرة الاعتراف تعد طقسًا من الطقوس المسيحية، وهى تعنى إقرار المذنب بخطاياه للكاهن، وهو ما يعرف بسر التوبة، كما تعد فكرة النعمة من الأفكار المعروفة أيضاً في اللاهوت المسيحي وإن اختلفت حولها الآراء، وإن كان الجديد عنده أنه ربط بينها وبين حسن الظن بالله، في حين جعلها القديس أوغسطين من فيض رحمة الله ولطفه محض ولا شيء سواهما، أما القديس بونافنتورا فقد أكد على ضرورة الأخذ بأسبابها لأجل نيلها؛ فأكد على ضرورة البعد عن الشهوات وترك الملذات لأجل الحصول عليها متأثرًا في ذلك بالتراث اليوناني، أو بالأحرى بالفلسفة الأفلوطينية.

# المبحث الثالث
# "صلة الله بالعالم وبالمخلوقات عند القديس ألبرت الكبير"

لا يمكن بحال من الأحوال أن نعرض لماهية الله وأدلة وجوده وصفاته وعنايته بالمخلوقات عند القديس ألبرت دون أن نعرض لصلته بالعالم وكيفية نشأته،وبكيفية صدور الموجودات عن الله.

والحقيقة أننا إذا تتبعنا مسار هذه الكيفية عند القديس ألبرت لرأيناها تأخذ نفس مسار تطور فكره؛ إذ في البداية نجده يقدم الحجج الفلسفية والبراهين الدينية على القول بفكرة الخلق من العدم أي القول بالحدوث، ثم يعود فيقدم حججًا وبراهينًا على القول بالقدم، ثم يستدرك؛ فيبين أن كلا الرأيين متكافآن في حججهما.[89] موكدًا أن كلا الرأيين لا يمكن إثباته بطريقة عقلية ولكن بأدلة احتمالية[90].

وهنا وبلا شك تبدو نزعة القديس ألبرت المتناقضة وآرائه المضطربة؛ فهو تارة يؤكد القول بقدم العالم، وتارة يؤكد القول بحدوثه، ثم يعود فيقول بأن الحدوث محتمل، كما أن القدم محتمل[91]؛ فالفيلسوف– في رأيه– لا يمكنه أن يعقل مسألة خلق العالم من لا شيء، أي من العدم، أو بالأحرى من غير مادة أولى Prim Matter، أما اللاهوتي فهو يؤمن ويوقن تمامًا أن العالم قد وجد من لا شيء، أو بالأحرى أنه غير مسبوق بمادة أولى.

ويحسم القديس ألبرت هذه القضية مؤكدًا أنه لا يمكن للعقل أن يدرك الحقيقة؛ لأن هذا المجال يخالف تمامًا مجال العقل البشرى؛ فالفيلسوف الذي يقدم براهينه على إثبات القول بحدوث العالم، والفيلسوف الذي يقدم براهينه على إثبات القول بقدم العالم كلاهما مخطئ لأنهما غفلا عن حدود الوحي.[92]

ومن ثم فلم يجد القديس ألبرت حلاً لهذه القضية إلا باللجوء إلى الوحي، وبتأكيده على أن العالم خلق في زمان؛ مخالفًا بذلك لآراء المشائين وعلى رأسهم أرسطو، وموافقًا لكافة الاعتقادات الدينية والتقاليد المسيحية(93)؛ فأخذ يعرض للحجج التي برهن بها أرسطو على قدم الحركة والزمان، ولكنه في ذات الوقت أكد أن هذه البراهين تثبت فقط أن العالم لم يكن لوجوده بداية وأنه لم يوجد زمان لم تكن فيه الحركة موجودة، مؤكدًا أن المادة الأولى لم تنشأ ورافضًا في نفس الوقت فكرة أنها لم تخلق، ومن هنا يبدو وكأنه يؤمن بفكرة الخلق وإن كان خلقًا تمتزج فيه المفاهيم الأرسطية بالمفاهيم الأفلاطونية المحدثة؛ مؤكدًا ضرورة وجود علة أولى، أو بالأحرى أن هناك مادة أولى أتت إلى الوجود بواسطة علة مكونة، أو بالمعنى الأدق موجده "أي خالقه"– إن صح التعبير– تمثل ذاتية الوجود ومبدؤه(94)، مبينًا أن هذه المادة الأولى تعد بمثابة نور أو شعاع ضوئي يصدر عنه أنوار أو إشعاعات أخرى(95) لعل هذا يذكرنا بموقف ابن رشد الذي ذهب إلى أن المادة الأولى قديمة وإن كانت من مخلوقات الله.

هذا فيما يتعلق بخلق العالم، أما عن كيفية خلق الموجودات، أو بالأحرى كيفية صدور المخلوقات عن الله؛ فإنه قد استخدم طريقته المعروفة بالدمج؛ أي الدمج بين الفلسفة الأفلاطونية المحدثة والفلسفة الأرسطية(96)؛ إذ نجده يتحدث عن العلة الأولى مبينًا أنها بمثابة نور أول يهب الصور للمادة، كما أنها تعد بمثابة النور الأول لكل معرفه، والعقل الأول لكل موجود، مؤكدًا أن العقل الإلهي يحتوى على الصور الأولى؛ بمعنى أن الله يهب الهيولى صورًا متمايزة؛ وأن هذه الصور تمثل صور الكليات الإلهية، كما أن إشعاعات نور العقل الكلى الفعال– الذي هو الله– تسرى في الهيولى حيث تتواجد الجواهر العينية(97)، بحيث يبدو الفيض– هنا– وكأنه يأخذ معنى الانتشار التدريجي للخير عند ألبرت، أو بالأحرى كأنه نمط من أنماط الانتشار التدريجي للنور عنده.(98)

وهو في بيان ذلك يقول: "إن الله أوجد العقل، أو المعلول الأول بفعل يسميه صدورًا* أو فيضا Emanation(99)، أو بمعنى أدق أن العقل صدر عن الله بشكل انبثاقي، وأن هذا العقل عاون الله في إيجاد سائر العقول الأخرى، وكذلك النفس والجواهر الجسمية"(100)؛ غير أنه لم يكن يقصد بهذا الفعل الصوري Formal act المعنى الأفلوطينى؛ لأن هذا يتنافى بالطبع مع طبيعة الخلق الحر التي تتسم به الذات الإلهية" ومن هنا كان استخدامه لمصطلحات خاصة مثل "التدفق والانسياب"؛ والذي يعنى تدفق العقل الأول عن الله، أو بالأحرى أنه فاض عنه، ولكن ليس بالمعنى الأفلوطينى، ثم إن هذا العقل الأول قد تدفق أو فاض عنه العقل الثاني؛ وهذا الأخير هو المصدر الذي فاض عنه العقل الثالث، ويظل الأمر هكذا مؤكداً أن هذه المتوالية– إن صح التعبير– تعد بمثابة انتشار تدريجي للخير، أو بالأحرى للنور وموقنًا بأنها تشير في النهاية– وبلا جدال– إلى الله، محافظًا تمامًا على مكانة الذات الإلهية، ونافيًا حتمًا أن يطرأ عليها أي نقص أو تغيير أثناء هذه المتوالية؛ فالسبب الأدنى– في رأيه– لا يصل إلا بالاعتماد على السبب الأعلى وبالتماس المعونة منه.(101) بحيث تعود عملية الفيض في النهاية بأسرها إلى الله.

ومن الملاحظ أن القديس ألبرت متأثر هنا– وفى هذا التصور تحديدًا– بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، غير أن هذا لا يعنى أنه كان ينوى استبدال مفهوم الفيض الأفلوطينى بمفهوم الخلق من العدم في المسيحية، ولكنه حاول أن يفسر المسيحية من منطلق أفلوطينى جديد، لكنه لم يدرك الصعوبات الناجمة عن تلك المحاولة.(102)

وهنا تبدو نزعة القديس ألبرت التوفيقية أكثر من نزعته الإبداعية إلى حد كبير؛ إذ نجده يسعى إلى التوفيق بين المذهب الأرسطي والمذهب الأفلوطينى دون محاولته خلق مذهبًا جديدًا يجمع بين كلا المذهبين(103)؛ بمعنى أنه استطاع

أن يستوعب كافة المذاهب لكنه لم يستطع أن يسيطر عليها، أو بالأحرى أن يطوعها لخلق مذهب جديد منها[104].

هذا عن تفسيره لنشأة الكائنات وصلتها بالله، أما عن تفسيره لمشكلة الكثرة في هذا الكون فلم يجد القديس ألبرت حلاً لها إلا باللجوء إلى ما يعرف "بنظرية العلل" أو الأصول البذرية* Rational Seminal Reason، وذلك لحل النزاع القائم بين فكرة الخلق مرة واحدة بلفظة "كن"- وفقًا لما جاء به الوحي الذي أكد أن الله هو السبب الكافي الذي أوجد الكائنات بقدرته الكلية النهائية- وبين فكرة القول باستمرارية الخلق ونمو الأشياء وتطورها.

حيث أكد القديس ألبرت متابعًا في ذلك العقيدة المسيحية أن المخلوقات بتعددها وتنوعها قد خلقت دفعة واحده ومباشرة عن الله[105] مركزاً على نظريه العلل، أو بالأحرى الأصول البذرية للأشياء لأجل تفسير نظرية الخلق المستمر، وبيان ذلك عنده أن المادة ليست مجرد قوه، لكنها مستودع لأصول بذرية[106]، وأن الكائنات تنمو من هذه البذرة؛ بمعنى أن الكائنات كانت في البدء في حالة كمون على شكل بذور؛ وأن هذه البذور حين تشاء الإرادة الإلهية؛ بمعنى أنها تحتوى بداخلها على جميع التطورات والإمكانات التي تمكنها من تطور حالتها البذرية حتى تصير كائنًا كاملًا، وهذا يعنى أن الخلق فعل متجدد ومستمر منذ القدم، وفى كل لحظة من اللحظات؛ وفقاً لإرادة الله ومشيئته.[107]

ومن الواضح أن القديس ألبرت متأثر في قوله بهذه النظرية بالقديس أوغسطين الذي قال بهذه الفكرة لأجل التوفيق بين القول بالخلق دفعه واحدة، وبين القول بالخلق المستمر والكثرة المتحققة في هذا العالم، وهو في هذا يقول:- "إن ما في العالم من أشياء حقيقية وحوادث قد وجدت مسبقًا في عقل الله قبل أن توجد على سطح الأرض تمامًا كما يوجد تخطيط البناء في عقل المهندس قبل أن يحققه في الواقع، ويحدث الخلق في الوقت المناسب حسب الصور الأزلية الموجودة في

العقل الإلهي"[108]، كما يبدو تأثر القديس ألبرت أيضا في هذه النظرية بما ورد في الكتاب المقدس فقد جاء في سفر التكوين في بيان هذه النظرية قوله:- "صنع الله الإنسان من طين الأرض، ولتنبت الأرض نباتًا عشبًا يبذر بذرًا وشجرًا مثمرًا يخرج ثمرًا بحسب صنعته، ولتنفض الحياة زحافات ذات أنفس حية وطيور تطير فوق الأرض ولتخرج الأرض ذوات أنفس حية بحسب أصنافها"[109]، ولعل في هذه الآيات ما يثبت إن الله لم يخلق الأحياء على صورة الحالية بشكل مباشر، وإنما خلق أصولها أو بذورها كما تقدم.

## الخاتمة

لقد اختلفت آراء وأحكام مؤرخي الفلسفة حول شخصية القديس ألبرت الكبير، ففي القرن التاسع عشر كان ينظر إليه على أنه أعظم موسوعي مجمع، أو بالأحرى موفق بين الحقائق واعتنق هذا الرأي أيضًا عدد لا بأس به من الدومنيكان المحدثين، كما عرف عنه أيضًا أنه أول أرسطي جديد موفق، أو بالأحرى ملم إلى حد كبير بالتعاليم الأرسطية، هذا بالإضافة إلى أنه كان مؤلفاً أو بالأحرى مكونًا للمعتقد التوماوى الألبرتى، وكان صاحب بصمات واضحة على الفكر الوسيطى، ورائدًا سباقاً في مجال النزعة العقلية التي كانت سائدة في عصره.

ويمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة في النقاط التالية:

1- تتميز شخصية القديس ألبرت الكبير بالنزعة التوفيقية؛ إذ كان لديه القدرة على التوفيق بين الاتجاهات المتعارضة والأفكار المتضاربة؛ فقد عرض في كتاباته للعديد من الآراء المتناقضة، وسعى سعيًا جادًا إلى التوفيق بينها

عارضا لرأيه، ولكن بين ثنايا كتاباته دون إعلان صريح ومباشر لها؛ فكان أقل ميلًا إلى النزعة التأليفية غير الذاتية، {أي غير المصحوبة برؤية ذاتية}، وذلك على عكس تلميذه القديس توما الإكوينى الذي كان يتمتع بنزعة تأليفية ذاتية إلى حد كبير، كما يمكن القول بأنه كان صاحب مذهب انتقائي إلى حد بعيد يجمع فيه بين العديد من الآراء والأفكار؛ بحيث يمكن القول بأن مذهبه لم يكن يتسم بتلك الصرامة التي ميزت أمثاله من رجال عصره.

2- مر القديس ألبرت الكبير في حياته بمرحلتين: فكان في المرحلة الأولى روحانيًا أوغسطينيا ديونسيوسيًا، ومن ثم فكان أقرب إلى اللاهوتي منه إلى الفيلسوف، وكان في المرحلة الثانية عقلانيًا أرسطياً مشائيًا، وبالتالي فكان أقرب إلى الفيلسوف منه إلى اللاهوتي، وأغلب الظن أنه كان مسيحيًا يتفلسف أكثر منه فيلسوف مسيحي، وليس أدل على ذلك من أنه على الرغم من كونه أقر بتفوق التعاليم الأرسطية على سائر الفلسفات الأخرى إلا أنه رفض منها كل ما لا يتفق مع تعاليم الدين المسيحي، أو بالأحرى أنه سعى سعيًا جادًا لأجل توظيف هذه التعاليم لخدمه الدين وإرضاء الكنيسة.

3- على الرغم من أن القديس ألبرت الكبير سعى سعيًا جادًا لأجل التوفيق بين ما تقول به الفلسفة الأرسطية وما تقول به العقيدة الكاثوليكية- التي كانت أقرب في مضمونها إلى الفلسفة الأفلاطونية المحدثة- إلا أن مساعيه قد باءت بالفشل؛ فأخذت مواطن التناقض في فلسفته تكشف عن نفسها الواحدة تلو الأخرى متخفية خلف ستار التوفيق، أو- إن صح التعبير- الدمج كما عرف عنه، وكانت النتيجة النهائية لذلك أنه أتهم بالاضطراب وعدم القدرة على الثبات على رأى واحد، ومن ثم يمكن القول بأنه كان عارضًا وشارحًا

وموفقًا أكثر منه صاحب رأى مستقل ورؤية واضحة وموقف ثابت فيما عرض له من آراء وأفكار، ولعل هذا الأمر يعد من الأمور التي تحير دارس فلسفته وعارض نظرياته؛ إذ لا يمكن التفرقة بين ما يعرض له وما يؤمن به من آراء وأفكار. وعلى الجملة يمكن القول بأن القديس ألبرت الكبير على الرغم مما كان يحظى به من مكانه مرموقة فى العصر الوسيط إلا أنه لم يقم مذهبًا فلسفيًا خاصا به بل كانت آراؤه بين ثنايا شروحه وكتاباته، ومن ثم فإننا لا نضيره إذا قلنا بأنه لم يهدف– عن عمد– إلى الإدلاء بآراء صريحة خاصة به، متأرجحًا وحائرًا بين متطلبات عقله وإلزامات عقيدته؛ وبالتالي فكان تأثيره تأثيرًا عارضًا قياسًا بتلميذه القديس توما الأكوينى.

4- يمكن القول بوجه عام بأنه إذا كان القديس ألبرت الكبير أميل إلى أن يكون لاهوتيًا منه أن يكون فيلسوفًا؛ فإننا وإحقاقا للحق لابد أن نقول بأنه كان لاهوتي أقرب إلى العالم– إن صح التعبير– منه إلى المفكر؛ إذ لا يمكن أن نغفل أو نتغافل عن معارفه الموسوعية في كافة المجالات العلمية، كما يمكن القول بأنه كان صاحب طريقة موضوعية– إن صح التعبير– في معالجاته الفلسفية وفى عرض قضاياه العقلية؛ فكان يعرض لكافة الآراء بغض النظر عن القائل بها، غير أن عرضه لها لم يكن شرطًا لقبولها؛ فكان يدفع تهجم الجهال على فلسفة أرسطو على سبيل المثال لا لكونها آراء أرسطو، ولكن لاحترمها في ذاتها، مؤكدا ضرورة التركيز على ما يقول به الشخص بغض النظر عن حقيقة هذا الشخص.

5- اتخذ اللاهوت عند القديس ألبرت طابعًا مختلفًا ومتميزًا عن سائر العلوم الأخرى؛ فكان يمثل شكلًا من أشكال الوجود الذي يجب معرفته من خلال العقل الطبيعي، أي العقل بالملكة؛ فموضوع اللاهوت عنده كان يتمثل فيما

يجب الوصول إليه والاستمتاع به، ويكون معروفًا ومدركًا من خلال الوحي؛ مؤكدًا أن النفس الإنسانية قادرة على أن تتشبه بالإله، وأن تتلقى من الفيوضات الإلهية والإشراقات الربانية ما يجعلها تصل إلى حالة الغبطة أو السعادة القصوى؛ فصار لاهوته لاهوتًا ذهنيًا، أو بالأحرى لاهوتًا صوفيًا، غير أنه من الملاحظ أن القديس ألبرت قد اتخذ من لاهوت النعمة، أو الفيض والمنة– إن صح التعبير– أساساً للاهوته الصوفي؛ وجعله يمثل منبع التصور اللاهوتي عنده. ولنا هنا وقفة؛ ذلك أننا إذا دققنا في هذه الفكرة لوجدنا أنها– في صميمها– تعنى نوعاً من الجود، أو الكرم الإلهي؛ فالله يصطفى بعض خلقه ويمنحهم من فيض نعمته؛ فيطلعهم على أسرار الملكوت ويمنحهم من قدراته ما يمكنهم من الدخول في حضرته والتمتع بمحبته، وهنا نتساءل إذا كان هذا هو حال المصطفين الأخيار من قبل الله؛ فكيف يكون الحال بالنسبة لهؤلاء الذين لم يشملهم الله بمنته ولم يفض عليهم بنعمته؟!، وما بالنا بأقوام التزموا بكافة أنواع النسك والعبادات، ولم يفض عليهم الرب بالرحمات والمنات. نقول هذا، خصوصاً وأن القديس ألبرت لم يربط بشكل مباشر وصريح بين مراحم الرب وعطاياه وبين الالتزام بالطاعات وأداء الصلوات، بل تركها عائمة ومتأرجحة، ولم يكن لديه قول حاسم ورأى قاطع في هذه القضية. وكنا ننتظر منه أن يضع معياراً ثابتاً وحداً فاصلاً للمنح أو المنع– إن صح التعبير– ولكن يبدو أن نزعته الدينية فاقت نزعته الفلسفية في حسم هذه القضية.

# هوامش البحث

(1) James A. Weisheipl: (Albertus magnus), An essay in The Encyclopedia of Religion, Vol.1. Editor in Chief Mircea Eliade, Macmillan Publishing company, New York, without Date.p. 180.

*ولد بالقرب من نابلي من أسرة ارستقراطية عام 1225م ، وكان طفل نبيهًا ثم أرسل إلى جامعة نابلي وهو لم يبلغ سوى الحادية عشرة من عمره، وأظهر براعة فائقة أثناء دراسته بها، ثم التحق برهبنة الدومنيكان وقرر التخلي عن مستقبله العلمي وكرس نفسه للفقر والتأمل فنفرت أسرته من ذلك، ثم أرسله الأخوة الدومنيكان إلى روما حتى يستكمل المسار الذي اختاره لنفسه، وتوفى عام 1274م. (انظر: جوناثان هيل: تاريخ الفكر المسيحي ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم ، مكتبة دار الكلمة، ط1، القاهرة ، 2012، ص 145).

(2) Henary Osben Taylor: The Medieval mind, Vol.2, Harvard University press, forth Edition, New York, 1962.P.453.

* اختلفت الروايات بشأن ميلاد القديس ألبرت الكبير، ولم تجمع على تاريخ ثابت، فمنهم من قال بأن ميلاده كان عام 1200م، ومنهم من قال بأنه كان عام 1193م، ومنهم من قال بأنه كان عام 1206، أما تاريخ وفاته فقد أجمعت الروايات على أنه كان عام 1280م.(الباحثة).

(3) د0 عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، ج1، (مادة : ألبرتس الكبير) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1984م، ص 217 .

*إقليم يقع في جنوب ألمانيا "انظر: فردريك كوبلستون : تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الثاني (من أوغسطين إلى دانزسكوت)، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام وإسحاق عبيد، مراجعة وتقديم د0 إمام عبد الفتاح، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010، ص7".

---

(4) Antony Flow: A Dictionary of Philosophy,(Albert the great), Macmillan press, LTD, First Published, London, 1979.P. 4.

(5) اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ج3 (العصر الوسيط والنهضة)، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت ، 1988م، ص166.

(6) الموسوعة العربية الميسرة: (مادة : ألبرت الكبير)، إعداد نخبة من العلماء والأساتذة، إشراف محمد شفيق غربال، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت ، 1987م، ص 195.

(7) د. جورج قنواتي :معجم أعلام الفكر الإنساني، ج1 (مادة: القديس البير الكبير)، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، تصدير د/ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص 661.

(8) James A. Weisheipl: (Albertus magnus) An essay in New catholic encyclopedia, Vol. 7, Prepared by an editorial staff in the catholic University of America, Second Edition, New York, without date.P.224.

(9) د. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، (مادة: ألبرتوس الكبير)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1997، ص 662 .

(10)David Knowles: The Evolution of Medieval thought, second Edition, New York, 1988P.230.

(11)James A. Weisheipl : (Saint Albert the great): op. cit., P.224,

(12)Radha Krishnan Sarvepalli: History of Philosophy, Vol.2, "Eastern and western", London, without Dat. P.153.

(13) القس بى بورات : تاريخ الروحانية المسيحية ، ج2، المجلد الثاني ، العصر الوسيط ، ترجمة تكلس نسيم سلامة ، مراجعة وتحرير محمد حسن غنيم، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015، ص 224.

(14) د. جورج قنواتي : المرجع السابق، ج1، (مادة:القديس البير الكبير) ص662 .

(15) الموسوعة الفلسفية المختصرة (مادة: ألبرت الكبير)، نقلها عن الإنجليزية د0 فؤاد كامل، د0 جلال العشري، د0 عبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات د0 زكي نجيب محمود، دار القلم ، بيروت، بدون تاريخ،ص 79.

(16) نفس المرجع ، ص 79 .

(17) Robert E Bjork: (Albertus magnus), An essay in The Oxford dictionary of the middle ages, vol.1, University press, Oxford, New York, without date, p.30.

(18) David Knowles: op. cit.,P.228

(19) Henary Osben Taylor: The Medieval mind, Vol.P.453.

(20) فواد سواف تاتاركيفتش: فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د0 محمد عثمان مكي العكيل: دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2012، ص 212.

(21) David Knowles: The Evolution of Medieval thought.P.230.

(22) Ibid.,P.228 .

(23) جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة،(مادة: ألبرتوس الكبير)، ص 86 .

(24) أميل برهييه : تاريخ الفلسفة، ج3 (العصر الوسيط والنهضة)، ص 167 .

(25) نفس المرجع ، ص 167.

(26).Antony Flow: A Dictionary of Philosophy, (Albert the great), p.4.

(27) إدوار جونو: الفلسفة الوسيطية، ترجمة د. علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1982م، ص 126 .

* ديونيسيوس هو أحد رجالات أثينا، وقد امن على يد الرسول بولس، ولا نعرف عنه الكثير، إلا أنه كان على ما يبدو أحد قضاه اريوس، كان أول أسقف للكنيسة في أثينا وانه استشهد في تلك المدينة في أيام الإمبراطور دومتيانوس. (انظر: دائرة المعارف الكتابية، {مادة ديونيسيوس} تحرير وليم وهبه بباوى، (المجلد الثالث)، دار الجيل للطباعة، ط1، بيروت، 1991م، ص 475) .

(28) د0 جورج قنواتي : المرجع السابق، ج1(مادة: القديس البير الكبير)، ، ص662 .

(29) جورج طرابيشي :المرجع السابق ،(مادة: ألبرتوس الكبير)، ص 86 .

(30) د. زينب الخضيري : أثر بن رشد على فلسفة العصور الوسطى ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2007 ، ص23 ، 24 .

(31) د0 عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، ج1، (مادة : ألبرتس الكبير)، ص 218 .

(32) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص 165.

(33) نفس المرجع ، ص 165، وانظر أيضًا الأب د0 جورج قنواتي :معجم أعلام الفكر الإنساني، ج1، (مادة:القديس البير الكبير) ، ص665 .

(34) Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the middle ages, first published, London, 1955. P.291

(35) Ibid. p.291.

(36) Ibid. p.291.

(37) Saint Albert the great: On Cleaving to God, ch., 16, Christian Classics Ethereal Library, Copyright Christian Classics Ethereal Library, 2000, p.27.

(38) د. جورج قنواتي : معجم أعلام الفكر الإنساني، ج1 (مادة: القديس البير الكبير)، ص 661 .

(39) Justol Gonzalez : The Story of Christianity , Voll, " The Early Church to The Down of The Reformation", Harper & row Publishers, copyright, first Published, New York, 1984. p.318.

(40) Saint Albert the great: Op. Cit ., p.27.

(41) أفلاطون: محاورة القوانين، ترجمها من اليونانية إلى الإنجليزية د/تيلور، ونقلها إلى العربية محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970م، ص 33-34.

*ولد أوغسطين فى تاغسته "من أعمال نوميديا" والآن من أعمال الجزائر عام 354م وتوفى عام 430م، تدعى أمه مونيكا التي أثبتت الكنيسة قداستها. فكانت من أشد الناس تمسكا بالنصرانية توفى والده، فسعى لأجل تحصيل معاشه وحفظ منزلته، وطالع شيئًا من التأليف في الفلسفة ، فساقه ذلك إلى البحث عن الحق، سافر إلى رومية ثم دعي إلى ميلان لتعلم البيان، توفيت أمه فاشتد به الميل إلى الترهبن، فعاد إلى تاغسته ومكث بها ثلاث سنوات منفردًا عن الناس ويروى عنه أنه كان زاهدًا قنوعًا، يأمر أتباعه بالبساطة في العيش والملبس والإحسان إلى المساكين وكان مهذبًا حسن السيرة. أشهر أعماله. الاعترافات، مدينة الله، وذكر عنها أنها ترجمت إلى العديد من اللغات رغبة في تعميم فوائدها. (انظر: المعلم بطرس البستانى: دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب)، (مادة القديس أوغسطين)، المجلد الرابع، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1880، ص 672، 673، 674).

* 1217 – 1274 أسكولائى إيطالي تتلمذ على يد الإسكندر الهاليسى، وصار أستاذًا للاهوت بجامعة باريس، ثم انتخب رئيسًا عامًا لرهبنة الفرنسيسكان، أشهر مؤلفاته : رحلة النفس إلى الله. (انظر: د0/ عبد المنعم الحفنى: الموسوعة الفلسفية، (مادة القديس بونافنتورا) دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة، بدون تاريخ ، ص 121).

([42]) ونى إيلى ألف: موسوعة أعلام الفلاسفة، جـ1، (مادة القديس بونافنتورا) ، قدم له الرئيس شارك الحلو، مراجعة د. جورج نخل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992، ص280.

([43]) يوسف كرم: المرجع السابق، ص 165 .

([44]) نفس المرجع ، ص 165.

([45]) اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ج3 (العصر الوسيط والنهضة)، ص 168 ، 169 .

([46]) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص 175 .

([47]) أفلاطون : محاورة طيماوس، ترجمها من اليونانية إلى الفرنسية البيرريفو، ونقلها إلى العربية، الأب فؤاد جرجس بربارة، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، سوريا، 1968م ص 69 .

([48] ) نفس المصدر ، ص 69 .

(49) د0 عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، دار القلم ، ط3، بيروت، 1979م ص 67 .

(50) نفس المرجع ، ص 67 .

(51) ونى إيلى ألف: موسوعة أعلام الفلاسفة، جـ1، (مادة القديس بونافنتورا) ، ص 280 .

(52) إدوار جونو: الفلسفة الوسيطية، ، ص 122 .

(53) FrederickCopleston :A History of Philosophy, Vol 3, Search Press, Limited, first Published, London, 1976, p. 296.

(54) وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1987م، ص 185 .

(55)د/ أميرة حلمي مطر : الفلسفة اليونانية {تاريخها ومشكلاتها }، دار قباء للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 1987،ص 275 .

(56) Frederick Copleston: op. cit.,p.296.

(57) Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the middle ages, P.291.

(58) Frederick Copleston : op. cit.,P.296.

(59) فردريك كوبلستون : تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الثاني (من أوغسطين إلى دانز سكوت)، ص 12 .

(60) نفس المرجع ، ص 12 .

(61) نفس المرجع ، ص 12 .

(62) نفس المرجع ، ص 12 .

(63) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، ص 53، 54 .

(64)القس بي بورات: تاريخ الروحانية المسيحية، المجلد الثاني، العصور الوسطى، ترجمة تكلس نسيم سلامة، مراجعة وتحرير محمد حسن غنيم، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015 ص 242 ، 243 .

(65) اتيين جلسون: نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د0 حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1981م ، ص 133 .

(66) ترانشى وماركوسى: مقالات فى فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د0/ ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986م ، ص 130 ، 131 .

(67) نفس المرجع ، ص 131 .

(68) Saint Albert the great: On Cleaving to God, ch., 16, p.27

(69) Ibid. p.27 .

(70) إنجيل متى: الإصحاح السادس، أيه 25 ، 30.

(71) اتيين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق أ0د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، ط3 ، القاهرة، 1996م، ص 207

(72) Saint Albert the great: On Cleaving to God, ch., 16, p.27.

(73) إنجيل متى: الاصحاح السادس، أيه 33 .

(74) M. Viller :Albert le grand, dans, Dictionnaire de spiritualité, Ascétique et mystique, Doctrine et Histoire, publié sous la direction de Marcel Vilier, S.J… Fascicule Premier, Paris, Mcmxxxll, col.282.

(75) Ibid, col.282.

(76) آلان دى ليبرا: فلسفة العصر الوسيط، ترجمة مصطفى ماهر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1999م، ص 455 ، 456.

(77) اتيين جلسون : المرجع السابق، ص 219 .

(78) آلان دي ليبرا: المرجع السابق، ص 455،456.

(79) د0 ميرفت عزت بالى: أفلوطين والنزعة الصوفية في فلسفته، دار الأنجلو، القاهرة، بدون تاريخ ص 451 .

(80) نفس المرجع ، ص 450 .

---

([81]) غسان خالد: أفلوطين (رائد الوحدانية ومنهل الفلاسفة العرب)، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1983م، ص 209 .

([82]) نفس المرجع ، ص 218 .

([83]) د. حربي عباس: ملامح الفكر الديني والفلسفي في مدرسة الإسكندرية القديمة، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1992م.، ص 164 ، 165 .

([84]) Saint Albert the great: On Cleaving to God, ch., 16, p.27.

([85]) Ibid. p.27, 28.

* إن ما نسميه مجد الله فى الكتاب المقدس إنما يعنى أن يتعرف الإنسان على المجد الخاص بالله حسبما يظهر في ظهورات الله المختلفة والعقيدة تبين أن هذا الكمال أو المجد يمكن التعرف عليه، والمجد نوعان : داخلي وخارجي، ومجد الله الداخلي (ماديًا وأساسيًا) هو تمام كماله تعالى في أنه يعطى بالخلق والمنح وهو كمال الكائن الذى يتوجه إليه الخلق كمشاركة في كمال كيان الله تعالى. انظر: (كارل راهنر، هربرت فورغريملر: معجم اللاهوت الكاثوليكي، نقله إلى العربية المطران عبده خليفة، دار المشرق، بيروت، 1986، ص 304، 305).

([86]) Saint Albert the great: On Cleaving to God, ch.,17, P.29.

([87]) Ibid. p.27, 28.

([88]) بولس الرسول : الرسالة الأولى إلى ثيموثارس عدد 4 ، نقلاً : عن اتيين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ص 208 .

*إقرار بالخطايا للكاهن في سرّ التوبة. وهناك الاعتراف العلنى الذى كان معروفًا في الكنيسة القديمة، والاعتراف الأدنى المعروف في أيامنا والذى يتم بصوت منخفض في أذن الكاهن. (انظر: الأب صبحى حموى اليسوعى: معجم الإيمان المسيحى، مراجعة جان كوربون، "مادة اعتراف" دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م، ص 156).

**هى عطية من الله لخليفته الناطقة، لم تكن حقًا لا لطبيعتها ولا لاستحقاقها، ترفعها إلى حالة التبني وإلى الاشتراك في الحياة الإلهية. وهناك النعمة الحالية، وهى النعمة الثابتة، والنعمة الفعلية وهى النعمة الممنوحة عند القيام بالفعل. {انظر: الأب صبحى حموى اليسوعى: المرجع السابق، "مادة نعمة"، ص 214}، والنعمة بوجه عام هى الحالة التى يستلذها

الإنسان، وقيل النعمى بالفتح من التنعم، وبالكسر من الإنعام، وقيل النعمة هى ما قصد به الإحسان والنفع لا لغرض ولا لعوض، وهى مرادفة للطف، وهو ما أنعم الله به على عباده بمحض فضلة وإحسانه. {أنظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، {مادة النعمة}، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، 1982، ص 480، 481}، والنعمة الإلهية تمثل اصطلاح لاهوتي يقصد به عون يأتي من الله إلى الإنسان على سبيل ألهبه والمنح. أنظر {د. مراد وهبه: المعجم الفلسفي، {مادة النعمة الإلهية}, دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 648}.

[*] 1266 – 1308 ، ولد في استكلتندا، ودخل رهبنة الفرنسيسكان، وتعلم فى اكسفورد وباريس، أهم مؤلفاته رسالة في النفس، وشرح على أحكام بطرس اللومباردى، ص 182. (انظر: عبد المنعم الحفنى: الموسوعة الفلسفية (مادة جون دانز سكوت)، ص 182).

([89]) Justol Gonzalez : The Story of Christianity , Voll, " The Early Church to The Down of The Reformation", p. 317.

([90]) زينب الخضيري : أثر بن رشد على فلسفة العصور الوسطى ، ص 246 .

([91]) نفس المرجع ، ص 246 .

([92]) Justol Gonzalez: op. cit, p.317.

([93]) Henary Osben Taylor: The Medieval mind, Vol.2,p.452.

([94]) د. زينب الخضيري :المرجع السابق، ص 242، 243 .

([95]) نفس المرجع ، ص 247 ، 248 .

([96]) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الثاني (من أوغسطين إلى دانزسكوت) ، ص 13 .

([97]) د. عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، ج1، (مادة : ألبرتس الكبير)، ص 218، 219.

([98]) د. زينب الخضيري: أثر بن رشد على فلسفة العصور الوسطى، ص 249 .

[*]هذا المذهب يفسر نشأة الكون برده إلى مبدأ أعلى سيصدر عن الخلق كالإشعاع أو الدفق بشكل سرمدي، ولا يقلل هذا التدفق الدائم من الأصل، ولذلك يقال إنها عملية من باب المجاز وليس الحقيقة والكائنات الأقرب للمبدأ الأكمل، ومنها يفيض مذهب الخلق والتطور، والأول يفترض مبدأ علويًا يخلق الكائنات من العدم أو من مادة كانت موجودة من قبل، والثاني يفترض صدور الكائنات عن بعضها البعض في سلسلة متطورة للأفضل،

والعمليتان: سواء الخلق أو التطور حقيقتان تقومان فى الزمان. (انظر: عبد المنعم الحفنى: الموسوعة الفلسفية، "مادة مذهب الفيض، ص 432").

(99) Frederick Copleston :AHistory of Medieval Philosophy, Methuen and co LTD, first Published, London, 1977, P.177.

(100) Francis. J Catania: Albert the great,an essay in The Encyclopedia of Philosophy, Vol.1:2, Editor in Cbief by Paul Edwards, Macmillan Publishing, Co., Inc, the free Press New York, 1972. P.66.

(101) فردريك كوبلستون : المرجع السابق ص 12 ، 13 .

(102) د. زينب الخضيري :المرجع السابق ،ص 249 .

(103) Samuel Enoch stumpf:Philosophy,(History&problems)McGraw-Hill Book Company , Fourth Edition, with date, P.654.

(104) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص 176 .

*العلل البذرية فكرة رواقية تذهب إلى أن الأشياء كانت فى البداية على شكل بذور كامنه أخذت تنمو وتتطور وتظهر منها الأشياء بمعنى أن الأشياء وجدت من التى خلقها الله مرة واحدة ثم تطورت. انظر {فردريك كوبلستون: المرجع السابق، ص} 12، وقد ظهرت هذه الفكرة بنصها أيضًا عند أفلوطين الذى أكد على أن النفس الكلية تدبر الكون وفقًا للعقل، وذلك بأن تشرق عليه أصولاً بذرية تعمل فى الهيولى، وتصورها دون علم تمامًا- كما يطبع الخاتم صورته على الشمع، أو كما يعكس الشئ صورته على الماء، وتتضح قيمة البذرة ليس فيما بها من رطوبة، بل فيما لا يرى فيها، أعنى عددًا أو أصلاً بذريًا، والعدد صورة. ومن ثم فالأصول البذرية هى التى تدفع بالكائن إلى تحقيق ماهيته وكماله (انظر: أفلوطين: الرسالة الثالثة من التاسوعة الثانية، (ف 16، 17) ونقلاً عن يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ط5، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966م، ص 293، 294).

(105) د. زينب الخضيري : المرجع السابق ، ص 245 .

(106) د. جورج قنواتي: معجم أعلام الفكر الإنساني، ج1 (مادة: القديس البير الكبير)، ص667.

(107) Francis. J Catania: Albert the great:an essay in The Encyclopedia of Philosophy, Vol.1:2,P.66.

(108) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط، ص 42 .

(109) سفر التكوين: الإصحاح الثاني آية 3 ، 4.

# قائمة المصادر والمراجع


## أولاً: المصادر

### أ- العربية :

1. أفلاطون : محاورة القوانين ،ترجمها من اليونانية إلى الإنجليزية د/تيلور، ونقلها إلى العربية محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، 1970م .
2. ـــــــ : محاورة طيماوس، ترجمها من اليونانية إلى الفرنسية البيرريفو، ونقلها إلى العربية، الأب فؤاد جرجس بربارة، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، سوريا، 1968م.

### ب-الأجنبية :

1- The great (Saint Albert): On Cleaving to God, ch., 16, Christian Classics Ethereal Library, Copyright Christian Classics Ethereal Library, 2000.

## ثانيًا المراجع :

### أ-العربية :

1. الخضيرى (د. زينب) : أثر بن رشد على فلسفة العصور الوسطى ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2007.

2. بالى (د0 ميرفت عزت) : أفلوطين والنزعة الصوفية في فلسفته ، دار الأنجلو ، القاهرة، بدون تاريخ
3. بدوي (د0 عبد الرحمن) : فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، دار القلم ، ط3، بيروت، 1979م.
4. برهييه (اميل): تاريخ الفلسفة، ج3، "العصر الوسيط والنهضة" ترجمة جورج طرابيشى، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1988.
5. بورات (القس بى): تاريخ الروحانية المسيحية ، ج2، المجلد الثاني ، العصر الوسيط، ترجمة تكلس نسيم سلامة ، مراجعة وتحرير محمد حسن غنيم، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015م.
6. جلسون (اتيين) : روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق أ0د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، ط3 ، القاهرة، 1996م.
7. ـــــــــــ : نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د0 حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
8. جونو (إدوار): الفلسفة الوسيطية، ترجمة د علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1982م.
9. خالد (غسان) : أفلوطين (رائد الوحدانية ومنهل الفلاسفة العرب)، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1983م.
10. ركيفتش (فواد سواف تاتا) : فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د0 محمد عثمان مكي العكيل: دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2012.
11. ستيس (وولتر) : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1987م.
12. عطيتو (د. حربي عباس): ملامح الفكر الديني والفلسفي في مدرسة الإسكندرية القديمة، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1992م.
13. كرم (يوسف) : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط5 ، القاهرة ، 1966م
14. ـــــــــــ :تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1965.
15. كوبلستون (فردريك) : تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الثاني (من أوغسطين إلى دانزسكوت)، ترجمة د0 إمام عبد الفتاح إمام وإسحاق عبيد ، مراجعة وتقديم د0 إمام عبد الفتاح إمام ، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010م

16. ليبرا (آلان دى): فلسفة العصر الوسيط، ترجمة مصطفى ماهر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1999م.
17. ماركوسى (ترانثى): مقالات فى فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د0/ ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986م.
18. مطر (د/ أميرة حلمى): الفلسفة اليونانية {تاريخها ومشكلاتها }، دار قباء للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 1987،ص 275 .
19. هيل (جوناثان): تاريخ الفكر المسيحى ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم ، مكتبة دار الكلمة، ط1، القاهرة ، 2012.

ب – الأجنبية :

1. Copleston (Frederick) **:**A History of Philosophy, Vol 3, Search Press, Limited, first Published, London, 1976.
2. _______________**:**History of Medieval Philosophy, Methuen and co LTD, first Published, London, 1977,
3. Gilson (Etienne): History of Christian Philosophy in the middle ages, first published, London, 1955.
4. Gonzalez (Justol): The Story of Christianity , Voll, " The Early Church to The Down of The Reformation", Harper & row Publishers, copyright, first Published, New York, 1984.
5. Knowles (David): The Evolution of Medieval thought، second Edition، New York، 1988.
6. Sarvepalli (Radha Krishnan): History of Philosophy, Vol.2, "Eastern and western", London, without Dat.
7. stumpf( Samuel Enoch): Philosophy, ( History&problems)McGraw-Hill Book Company , Fourth Edition, with date.

8. Taylor (Henary Osben): The Medieval mind, Vol.2, Harvard University press, forth Edition, New York, 1962.

## ثالثا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف:

### أ-العربية

1. البستانى (المعلم بطرس): دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب)، (مادة القديس أوغسطين) ،المجلد الرابع، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1880.

2. الحفنى (د0عبد المنعم): الموسوعة الفلسفية، (مادة القديس بونا فنتورا ، مادة جون دنس سكوت) دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة، بدون تاريخ.

3. الموسوعة الفلسفية المختصرة:كامل (د0 فؤاد)، جلال العشرى، عبد الرشيد الصادق (مادة ألبرت الكبير)، راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية د 0 زكي نجيب محمود ، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ، 1963م.

4. الموسوعة العربية الميسرة: إشراف د0/ محمد شفيق غربال،(مادة ألبرت الكبير) دار القلم ، بيروت، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1965.

5. اليسوعى (الأب صبحى حموى): معجم الإيمان المسيحى، مراجعة جان كوربون ، (مادة اعتراف، مادة نعمة) دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م.

6. بدوى (د0 عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج1، (مادة : ألبرت الكبير) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1984م.

7. دائرة المعارف الكتابية، {مادة ديونيسيوس } تحرير وليم وهبه بباوى، (المجلد الثالث)، دار الجيل للطباعة، ط1، بيروت، 1991م

8. راهنر (كارل) ، هربرت فورغريملر : معجم اللاهوت الكاثوليكي ، نقله إلى العربية المطران عبده خليفة، (مادة مجد الله) دار المشرق ، بيروت، 1986.

9. صليبا ( جميل): المعجم الفلسفى ، الجزء الثانى ، { مادة النعمة } ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، 1982 .

10. طرابيشي ( د. جورج): معجم الفلاسفة، (مادة: ألبرت الكبير)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1997م.

11. معجم أعلام الفكر الإنساني، ج1، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، (مادة ألبرت الكبير) تصدير د/ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

12. وهبه (د. مراد) : المعجم الفلسفى ، { مادة النعمة الإلهية } , دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 .

## ب-الأجنبية:

1. Dictionnaire de spiritualité, Ascétique et mystique, Doctrine et Histoire, publié sous la direction de Marcel Vilier, S.J… Fascicule Premier, Paris, Mcmxxxll.

2. Flow (Antony): A Dictionary of Philosophy, Macmillan press, LTD, First Published, London, 1979.

3. New catholic encyclopedia, Vol. 7, Prepared by an editorial staff in the catholic University of America, Second Edition, New York, without date.

4. The Encyclopedia of Philosophy, Vol.1:2, Editor in Cbief by Paul Edwards, Macmillan Publishing, Co., Inc, the free Press New York, 1972.

5. The Encyclopedia of Religion, Vol.1, Editor in Chief Mircea Eliade, Macmillan Publishing company, New York, without Date.

6. The Oxford dictionary of the middle ages, vol.1, University press, Oxford, New York, without date.